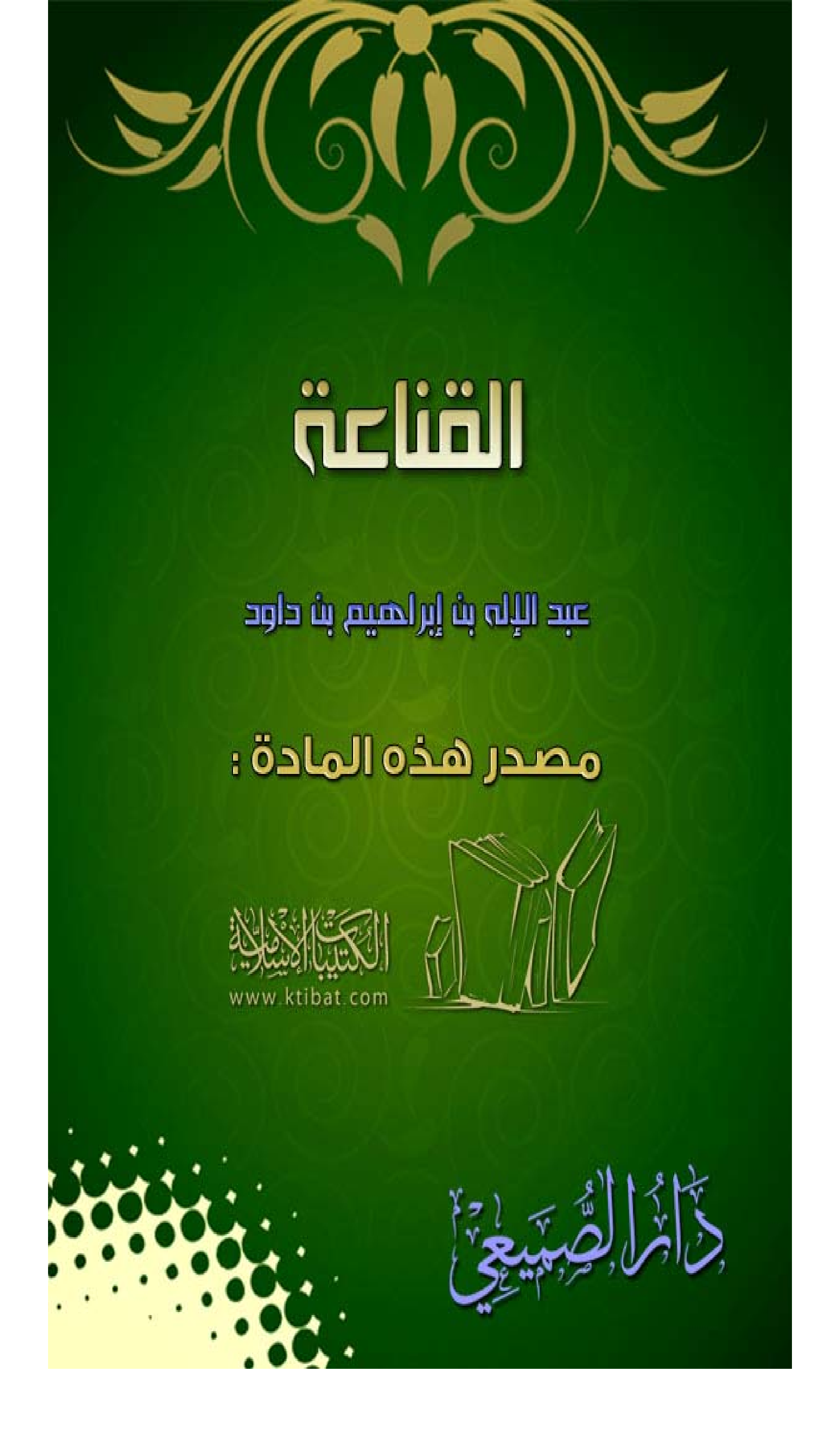

القناعة
عبد الإله بن إبراهيم بن داود
مصدر هذه المادة :
الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com
دار الصميعي

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران، آية: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء، آية: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب، آية: ٧٠][1].

أما بعد:

(لما كانت هذه الدنيا دار ممر ومعبراً إلى الآخرة، وجب التزود منها بالقدر الذي يصل به الإنسان إلى الآخرة، ولذلك وجب على المرء أن يقنع بما أتاه الله عز وجل، وليعلم أن الغنى هو غنى النفس؛ وليس كثرة المال والمتاع؛ كما قال النبي ﷺ: «**ليس الغنى عن كثرة**

---

(١) خطبة الحاجة للشيخ الألباني.

العرض ولكن الغنى غنى النفس»)[1][2]، ولكن الناظر في أحوال الناس اليوم يجد أن الدنيا ألهتهم عن طاعة الله؛ بل شغلت قلوبهم عن الواجبات مثل أداء الصلاة وتربية الأبناء؛ فبعض الناس قد تفوته الصلاة انشغالا بالدنيا وجمعاً لحطامها، وإن صلاها البعض فصلاة بلا روح؛ لأن قلبه قد تفرق في شعاب الدنيا وأوديتها، فبين صفقة تجارية أو محل تجاري يريد أن يفتحه أو عمارة يريد أن يبنيها أو قطعة أرض يريد أن يشتريها أو وظيفة يطمح لها... الخ من الأشغال، وكأن المصلي إذا رفع يديه مكبرًا للصلاة الله أكبر قال: لسان حاله بل الدنيا أكبر، وهذه الدنيا دار ممر لا مقر ودار عمل لا نعيم والرسول ﷺ كان يقول: «**مالي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها**»[3].

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة.

وإن من أسباب الانشغال بالدنيا والإقبال عليها هو الطمع فيها والحرص عليها، لذا أحببت أن أكتب هذه الرسالة حول موضوع أجدُ أننا بحاجة إليه وهو موضوع القناعة.

ولأني لم أجد فيما بحثت من كتب عن هذا الموضوع بشكل متكامل، أحببت أن أجمع ما تيسر حول هذا الموضوع وأقدمه زادًا لي ولأخواني، عسى أن يكون تذكرة لنا جميعًا؛ ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ

---

(١) متفق عليه.

(٢) كتاب ذم الدنيا للزهيري ص٣٦.

(٣) رواه الترمذي وقال حديث حسن.

﴿الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1] وأسأله تعالى أن يجعل عملي خالصًا لوجهه لكريم وأن يجعل هذه الكلمات حجة لنا لا حجة علينا، وأن ينفعنا بها والله أعلم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * * *

(١) سورة الذاريات آية ٥٥.

بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة

إن مما يرغب الإنسان في الإقبال على الأعمال الصالحة وجعلها أكبر همه هو معرفة ما أعد الله من النعيم في الآخرة لعباده المؤمنين، وكذلك المقارنة بين نعيم الدنيا الزائل المشوب بالتعب والمنغصات ونعيم الآخرة الخالي من الأكدار والأحزان والانقطاع أو الزوال، لذلك أحببت أن أقدم مقارنة مختصرة بين نعيم الآخرة ونعيم الدنيا، وذلك من خلال بعض ما جاء في القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ.

يقول تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[2].

ويقول تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعٌ﴾[3].

ويقول تعالى: ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا قَلِيلٌ﴾[4].

ويقول تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ * قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ

(١) النساء ٧٧.
(٢) الأنعام ٣٢.
(٣) الرعد ٢٦.
(٤) التوبة ٣٦.

جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾(١).

والآيات في ذلك كثيرة وأكتفي بما سبق للذكرى فقط.

أما الأحاديث النبوية فكثيرة أيضًا نذكر منها قول النبي ﷺ: «**والله ما الدنيا في ألآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه – وأشار بالسبابة – في اليم فلينظر بم ترجع**»(٢) وقال رسول الله ﷺ في الحديث الذي يرويه أبو هريرة ﷺ: «**موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها**»(٣). وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أن امرأة من نساء الجنة اطلعت على الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحًا، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها**»(٤).

ونكتفي بهذا القدر لعل فيه بلاغ لما يراد إبلاغه.

ولعلنا نستخرج من هذه الآيات والأحاديث وغيرها ما لم نذكره.

* * * *

(١) آل عمران ١٤، ١٥.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) رواه البخاري.

بعض مميزات نعيم الجنة عن نعيم الدنيا [1]:

١- نعيم الدنيا قليل ونعيم الآخرة كثير.

٢- نعيم الآخرة أفضل من حيث النوع في ثيابهم وطعامهم وشرابهم ونساءهم وقصورهم من نعيم الدنيا.

٣- إن الجنة خالية من شوائب الدنيا وكدرها في الأكل والشرب والنساء.

٤- نعيم الدنيا زائل ونعيم الآخرة باق دائم.

٥- إن العمل لمتاع الدنيا ونسيان الآخرة يعقبه الحسرة والندامة ودخول النار.

وأختم بهذا الحديث العظيم الذي فيه عبرة وأي عبرة، عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغةً في الجنة فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسًا قط هل مر بك شدة قط؟ فيقول لا والله ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط**»[2].

---

(١) من كتاب الجنة والنار للدكتور عمر الأشقر باختصار ص٢٢٢-٢٢٨.

(٢) رواه مسلم.

بين تقدير الرزق وطلبه

ينبغي للمسلم أن يجعل نصب عينيه أمرين مهمين في مسألة طلب الرزق والقناعة فيه:

الأمر الأول: هو أن الله أمر بطلب الرزق، وحث على العمل، في آيات عديدة، نذكر منها، قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾[3].

وغيرها كثير وكذلك نبينا محمد ﷺ حَثَّ على كسب الرزق بل عده من العمل الصالح الذي يثاب عليه الإنسان إذا صلحت نيته وجاء الحث عليه في أحاديث كثيرة نذكر منها: عن كعب بن عجرة قال: مر على النبي ﷺ رجل، فرأي أصحاب رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه فقالوا: يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله (أي: في الجهاد ولإعلاء كلمة الله وكان أفضل العبادات عندهم) فقال: «**إن كان خرج يسعى على ولده صغارًا فهو في سبيل الله**

(١) سورة الملك آية ١٥.

(٢) سورة الجمعة آية ١٠.

(٣) سورة المزمل آية ٢٠.

وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله وإن كان خرج على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومنافرة فهو في سبيل الشيطان»[1].

وقال ﷺ «**التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء**»[2].

وقال ﷺ «**ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة**»[3].

وقال رسول الله ﷺ «**ما أكل أحد طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده**»[4].

ووجه ﷺ ذات يوم أصحابه فقال: «**لأن يأخذ أحدكم حبله، فيحتطب خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه**»[5].

والأحاديث كما قلت كثيرة ولكن أكتفي بهذا القدر.

أما الأمر الثاني: فهو علم العبد ويقينه أن الله قد كتب له رزق معين قبل أن يولد، لن يزيد ولن ينقص إلا أن يشاء الله ويدل على ذلك حديث ابن مسعود ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو

(١) قال المنذري رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه الترمذي وحسنه.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه البخاري.

الصادق المصدوق: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك، فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه، وأجله وعمله وشقي أم سعيد**...» الحديث[1].

وقوله تعالى: ﴿**وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ**﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾[3].

إذا علم العبد هذين الأمرين وآمن بهما عن يقين وتصديق، فإن عليه أن يطلب الرزق في هذه الدنيا بالطرق المشروعة والمباحة كما قال رسول الله ﷺ «**اعلموا فكل ميسر لما خلق له**»[4]، دون أن يكون طلبه برزقه مشغلاً عن العبادة وأداء الواجبات أو الازدياد من المستحبات وليعلم العبد أن رزقه قد كتب وقسم له، فلا يزيده حرص حريص ولا يرده كراهية كاره؛ فعليه الاقتصاد في الطلب بما يوفي بالحاجة ولا يشغل عن الطاعة.

* * * *

(١) متفق عليه.

(٢) سورة الذاريات آية ٢٢.

(٣) سورة هود آية ٦.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

تعاريف:

(قال ابن السني: القناعة: الرضا بالقسم، يقال قنع الرجل قناعة إذا رضي)[1].

(وقال الفيروزآبادي: القناعة الرضا)[2].

(وقال الراوي: القناعة: الرضا بالقسم وبابه سلم فهو قنع وقنوع وأقنعه الشيء أي: أرضاه وقال بعض أهل العلم: إن القنوع أيضًا قد يكون بمعنى: الرضا والقانع بمعنى: الراضي وأنشد:-

وقـــالوا قـــد زهيـــت فقلـــت كـــلا
ولكـــــــن أعـــــــزني القنـــــــوع

وفي المثل: خير الغنى القنوع وشرُّ الفقر الخضوع)[3].

(قال ابن حزم: القناعة فضيلة مركبة من الجود والعدل)[4].

(قال مصطفى السباعي: القناعة والطمع هما الغني والفقر؛ فرب فقير هو أغنى منك، ورب غني هو أفقر منك)[5].

فالقناعة: هي أن ترضى بما قسم الله لك في هذه الدنيا، قل هذا أو كثر، وتفوض أمرك لربك، وتعلم أنه أعلم أرحم بك من نفسك.

---

(١) كتاب القناعة ص١١.
(٢) القاموس المحيط ص٩٧٧.
(٣) مختار الصحاح ص٣٥٣.
(٤) مداواة النفوس ص١٢٩.
(٥) هكذا علمتني الحياة ج١ ص١٤.

آيات في الحث على القناعة

الآيات في ذلك كثيرة، أذكر بعضها، وأدعوك لتدبر معانيها:

قال تعالى: ﴿وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾[3].

وقال تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ...﴾[4].

وقال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[6].

---

(١) سورة النساء آية ٣٢.

(٢) سورة البقرة آية ٢٧٣.

(٣) سورة هود آية ٦.

(٤) سورة الشورى آية ٤٩.

(٥) سورة الأعراف آية ١٤٤.

(٦) سورة النحل آية ٩٧.

قال علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهما قالا: بالقناعة **[تفسير ابن كثير ٢/٦٤٥ – الطبري ٧/١١٥ – القرطبي ٣٧٩٠]**.

وقال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾[3].

قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾[4].

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[6].

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٦.
(٢) سورة آل عمران آية ١٤.
(٣) سورة لقمان آية ٣٣.
(٤) سورة القصص آية ٧٧.
(٥) سورة القصص آية ٨٣.
(٦) سورة الذاريات آية ٢٢.

أحاديث في الحث على القناعة

عن عبيد الله بن محصن الأنصاري الخطمي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أصبح منكم آمنًا في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها**»[1].

(سربه بكسر السين المهملة: أي نفسه، وقيل قومه)[2].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا وقنعه الله بما آتاه**»[3].

وعن فضالة بن عبيد الأنصاري أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**قد أفلح من هدي إلى الإسلام، وكان عيشه كفافًا وقنع به**»[4].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس الغنى عن كثرة العَرَض ولكن الغنى غنى النفس**»[5]. قال النووي: (العَرَض هو المال)[6]، وفي شرح هذا الحديث قال بعض أهل العلم: ليس حقيقة الغنى كثرة المال، لأن كثيرا ممن وسع الله عليه في المال لا يقنع بما أوتي، فهو يجتهد في الازدياد، ولا يبالي من أين يأتيه، فكأنه فقير؛ لشدة حرصه، وإنما حقيقة الغنى غنى النفس، وهو من استغنى

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن.
(٢) رياض الصالحين ص٢٢٧.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.
(٥) متفق عليه.
(٦) رياض الصالحين ص٢٣٤.

بما أوتي وقنع به، ورضي ولم يحرص على الازدياد، ولا ألح في الطلب، فكأنه غني.

وقال آخرون: إن الغنى النافع أو العظيم أو الممدوح، هو غنى النفس، وبيانه: أنه إذا استغنت نفسه كفت عن المطامع فعزت وعظمت، وحصل لها من الحظوة والنزاهة والشرف والمدح أكثر من الغنى الذي يناله من يكون فقير النفس لحرصه، فإنه يورطه في رذائل الأمور وخسائس الأفعال، لدناءة همته وبخله ويكثر من يذمه من الناس، ويصغر قدره عندهم، فيكون أحقر من كل حقير وأذل من كل ذليل، وقال ابن حجر: والحاصل إن المتصف بغنى النفس يكون قانعًا بما رزق الله، لا يحرص على الازدياد لغير حاجة، ولا يلح في الطلب، ولا يلحف في السؤال، بل يرضى بما قسم الله له، فكأنه واجد بدًا، والمتصف بفقر النفس على الضد منه؛ لكونه لا يقنع بما أعطي بل هو أبدًا في طلب الازدياد من أي وجه أمكنه ثم إذا فاته المطلوب، حزن وأسف، فكأنه فقير من المال؛ لأنه لم يستغن بما أعطي، فكأنه ليس بغني، ثم غنى النفس إنما ينشأ عن الرضا بقضاء الله تعالى والتسليم لأمره، علمًا بأن الذي عند الله خير وأبقى، فهو معرض عن لحرص والطلب)[1].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم**»، متفق عليه، وهذا لفظ مسلم، وفي رواية

(١) ذم الدنيا لسمير الزهري ص٢٦-٣٨.

للبخاري: (**إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى ما هو أسفل منه**) لماذا؟ ليستريح الإنسان من نصب الدنيا ويملأ قلبه قناعة ويتزود بالتقوى ويرضى عن فعله الله جل وعلا)[1].

وقال الشيخ ابن سعدي رحمه الله: (يا لها من وصية نافعة وكلمة شافية وافية، فهذا يدل على الحث على شكر الله بالاعتراف بنعمه والتحدث بها والاستعانة بها على طاعة المنعم، حتى ربما كان فقيرًا يفوق بهذه النعمة — نعمة القناعة وراحة القلب — كثيرًا من الأغنياء)[2].

وعن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس، فقال: **ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس**)[3].

وعن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله. ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطى أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر**)[4].

---

(١) مجلة الإسلام ص١٢ عدد ٤٣ للأستاذ الشيخ مصطفى محمد عمار.
(٢) بهجة قلوب الأبرار ص٥٥-٥٦.
(٣) السلسلة الصحية للألباني ج٢ رقم ٩٤٤.
(٤) متفق عليه.

قال الشيخ ابن سعدي في معرض كلامه عن الحديث: (وتمام ذلك بصلاح القلب وطمأنيته بالعفاف عن الخلق والغنى بالله ومن كان غنيًا بالله فهو الغني حقًا وإن قلَّتْ حواصله فليس الغنى من كثرة العرض إنما الغنى غنى القلب، وبالعفاف والغنى يتم للعبد الحياة الطيبة والنعيم الدنيوي، والقناعة بما آتاه الله)[١].

وقال رسول الله ﷺ: «**ارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس**»[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «**من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلى ما قدر له**»[٣].

وعن حكيم بن حزام ﷺ قال: «سألت رسول الله ﷺ، فأعطاني ثم سألته فأعطاني، ثم قال: **يا حكيم إن هذا المال خضر حلو، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع...**» الحديث[٤].

وعن حكيم بن حزام ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**اليد العليا خير**

---

(١) بهجة قلوب الأبرار ص٩٢.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده.

(٣) رواه الترمذي وصححه الألباني السلسلة الصحيحة ج٢ (٢٠٠٥).

(٤) متفق عليه.

من اليد السفلى وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله»[1].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أصابته فاقه فأنولها بالناس لم تسد فاقته ومن أنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل**»[2].

قال النووي: يوشك: أي يسرع [3].

وعن أبي أمامة إياس بن ثعلبة الأنصاري الحارثي ﷺ قال: «ذكر أصحاب رسول الله ﷺ يومًا ما عنده الدنيا، فقال رسول الله ﷺ: **ألا تسمعون ؟ ألا تسمعون ؟ إن البذاذة من الإيمان، إن البذاذة من الإيمان، يعني: التقحل**»[4].

(قال النووي: البذاذة هي رثاثة الهيئة وترك فاخر اللباس)[5].

وعن أنس بن مالك وعبد الله بن عباس ﷺ قالا: قال رسول الله ﷺ: «**لو أن لابن آدم واديًا من ذهب أحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلا التراب، ويتوب الله على من تاب**»[6].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن.

(٣) رياض الصالحين ص٢٣٦.

(٤) رواه أبو داود.

(٥) رياض الصالحين ص٢٢٨.

(٦) متفق عليه.

وعن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما طلعت الشمس قط إلا وبجنبتيها ملكان يناديان يسمعان من على الأرض غير الثقلين: أيها الناس هلموا إلى ربكم، ما قل وكفى خير مما كثر وألهى**»[1].

وعن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتاني جبريل فقال: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت واحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس**»[2].

وعن كعب بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لديه**»[3][4].

وعن أبي هريرة ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: «**يقول العبد مالي، مالي، وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فأقنى، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس**»[5].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»[6].

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) رواه الحاكم وحسنه الألباني لشواهده السلسلة الصحيحة.

(٣) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

(٤) هناك شرح قيم لهذا الحديث لابن رجب الحنبلي ينصح بقرائته.

(٥) رواه مسلم.

(٦) رواه البخاري.

قال النووي: قالوا في شرح هذا الحديث معناه: لا تركن إلى الدنيا ولا تتخذها وطنًا ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها ولا بالاعتناء بها ولا تتعلق منها إلا بما يتعلق الغريب في غير وطنه ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله»[1].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميلة إن أعطى رضي وإن لم يعطَ لم يرضَ**»[2].

وقال رسول الله ﷺ في وصية عظيمة لمن أراد القناعة: «**أجمع الياس مما في أيدي الناس**»[3].

وقال رسول الله ﷺ: «**اجملوا في طلب الدنيا فإن كلاً ميسر لما خلق له**»[4].

وعن قتادة بن النعمان عن النبي ﷺ قال: «**إن الله إذا أحب عبدًا حماه من الدنيا، كما يزل أحدكم يحمي سقيمه الماء**»[5].

وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «**من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى**»[6].

---

(١) رياض الصالحين ص٢١٥-٢١٦.
(٢) رواه البخاري.
(٣) أخرجه الإمام أحمد ج٥ ص٤١٢ وابن ماجه وحسنه الألباني السلسلة الصحيحة ٤٠١.
(٤) أخرجه الترمذي.
(٥) رواه ابن ماجه وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة قم ٨٩٨.
(٦) رواه الإمام أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه.

قال أبو بكر الصديق ﷺ قال لي رسول الله ﷺ: «**يا أبا بكر؛ إذا صليت، فصل صلاة مودع، وإياك وكثرة السؤال عما لا يعنيك، واكتف بما أتاك الله يغنيك**»[1].

فائدة:

حديث (القناعة مال لا ينفد) أورده السيوطي في الجامع الصغير من حديث أنس عند القضاعي في الشهاب.

قال الشيخ الألباني: ضعيف جدًا، ضعيف الجامع (٤١٤٤).

سؤال الله القناعة:

جاءت أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ يسأل ربه فيها القناعة نذكر منها:

عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ كان يدعو فيقال: «**اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**»[2].

يقول الشيخ ابن سعدي رحمه الله: (هذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها وهو يتضمن سؤال خير الدين والدنيا (فالعفاف والغنى) يتضمن العفاف عن الخلق وعدم التعلق بهم والغنى بالله ورزقه والقناعة بما فيه، وحصول ما يطمئن به القلب من الكفاية، وبذلك تتم سعادة الحياة الدنيا والراحة القلبية وهي الحياة الطيبة.

فمن رزق الهدى والتقى والعفاف والغنى نال السعادتين وحصل

(١) أخرجه الحاكم وحسنه الألباني السلسلة الصحيحة (٤٠١).

(٢) رواه مسلم.

له كل مطلوب ونجا من كل مرهوب. والله أعلم)[1].

وعن ابن عمر قال: قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الكلمات لأصحابه «**اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا**»[2].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم ارزق آل محمد قوتًا**»[3] متفق عليه وفي رواية «**اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا**».

- قال النووي (قوتًا: أي ما يسد الرمق)[4].

(وقال ابن بطال في شرح هذا الحديث وفيه دليل على فضل الكفاف وأخذ البلغة في الدنيا والزهد فيها فوق ذلك، رغبة في توفير نعيم الآخرة وإيثار لما يبقى على ما يفنى، فينبغي أن تقتدي به أمته في ذلك، وقال القرطبي: معنى الحديث أنه طلب الكفاف، فإن القوت هو ما يقوت البدن ويكفيه عند الحاجة، وفي هذه الحالة سلامة من آفات الغنى والفقر جميعًا»[5].

---

(١) بهجة قلوب الأبرار ص٢٣٢.
(٢) صحيح الترمذي للألباني ج٣ ص١٦٨.
(٣) متفق عليه.
(٤) رياض الصالحين ص١٢٤.
(٥) فتح الباري ج١١ ص١٩٣.

من حال النبي ﷺ وأصحابه:

عن عروة عن عائشة رضي الله عنها إنها كانت تقول: «ﷺالله يا ابن أختي إن كنا ننظر إلى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار، قلت: يا خالة فما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان التمر والماء إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم منائح وكانوا يرسلون إلى رسول الله من ألبانها فيسقينا»[١].

– وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: «لقد رأيت نبيكم وما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه»[٢].

قال النووي: الدقل: تمر ردئ [٣].

– وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان فراش الرسول ﷺ من أدم [٤] حشوه ليف»[٥].

– وعن أبي هريرة ﷺ قال: «قسم رسول الله ﷺ بينا تسع تمرات فكنا تسعة، فأعطى تمرة تمرة»[٦].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رياض الصالحين ص٢٢٢.

(٤) ادم: جلد.

(٥) رواه البخاري.

(٦) رواه ابن السني في كتاب القناعة وأصله في البخاري.

– وعن أبي هريرة ﷺ قال: «لقد رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء، إما إزار وإما كساء قد ربطوا في أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته»(١).

– وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: «إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله ولقد كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الحبله وهذا السمر حتى إن كان أحدنا ليضع ما تضع الشاة ما له خلط»(٢).

– وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعًا من شعير»(٣).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: والله الذي لا إله إلا هو إني لاعتمد على كبدي على ألأرض من الجحوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يومًا على طريقهم الذي يخرجون منه، فمر بي النبي ﷺ فتبسم حين رآني وعرف ما في وجهي وما في نفسي ثم قال: «**أبا هر**»، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «**الحق**»، ومضى فاتبعته، فدخل واستأذن فأذن لي فدخلت فوجدت لبنًا في قدح فقال: «**من أين هذا اللبن**» قالوا: أهداه لك فلان أو فلانة قال: «**أبا هر**» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «**الحق إلى أهل**

---

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

الصفة فادعهم لي» قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأتون على أهل ولا مال ولا على أحد، وكان إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئًا وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فساءني ذلك فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة؟! كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة اتقوى بها، فإذا جاؤوا وأمرني فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بد، فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا واستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت قال: «**أبا هر**» قلت: لبيك يا رسول الله قال: «**فخذ فأعطهم**»، قال: فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل، فيشرب حتى يروى ثم يرد علي القدح حتى انتهيت إلى النبي ﷺ وقد روي القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إلي فتبسم فقال: «**أبا هر**»، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «**بقيت أنا وأنت**» قلت: صدقت يا رسول الله قال: «**اقعد فاشرب**»، فقعدت فشربت، فقال: «**اشرب**» فشربت، فما زال يقول: «**اشرب**» حتى قلت لا والذي بعثك بالحق لا أجد له مسلكًا، قال: «**فأرني**» فاعطيته القدح، فحمد الله تعالى وسمى وشرب الفضلة[1].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كنا جلوسًا مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من الأنصار فسلم عليه ثم أدبر الأنصاري: فقال رسول الله ﷺ: «**يا أخا الأنصار كيف أخي سعد بن**

---

(١) رواه البخاري.

عبادة؟» فقال: صالح، فقال رسول الله ﷺ: «**من يعوده منكم؟**» فقام وقمنا معه ونحن بضعة عشر ما علينا نعال ولا خفاف ولا قلانس ولا قمص نمشي في تلك السباخ حتى جئناه، فاستأخر قومه من حوله حتى دنا رسول الله ﷺ وأصحابه الذين معه»[1].

وعن أبي عبد الله جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: بعثنا رسول الله ﷺ وأمر علينا أبا عبيدة ﷺ نتلقى عيرًا لقريش وزودنا جرابًا من تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة، فقيل: كيف تصنعون بها؟ قال: نمصها كما يمص الصبي ثم نشرب عليها من الماء فتكفينا يومنا إلى الليل، وكنا نضرب بعصينا الخبط ثم نبله بالماء فنأكله.. الحديث»[2].

قال النووي: الخبط شجر معروف تأكله الإبل [3].

وعن أنس ﷺ قال: «قال أبو طلحة لأم سليم: قد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفًا أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ فقالت: نعم، فأخرجت أقداحًا من شعير ثم أخذت خمارًا لها، فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت ثوبي وردتني ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ فذهبت به، فوجدت رسول الله ﷺ جالسًا في المسجد ومعه الناس، فقمت عليهم، فقال رسول الله ﷺ: «**أرسلك أبو طلحة؟**»، فقلت: نعم فقال: «**الطعام؟**» فقلت: نعم،

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رياض الصالحين ص٢٢٩.

فقال: رسول الله ﷺ «**قوموا**» فانطلقوا وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته فقال أبو طلحة: قد جاء رسول الله ﷺ وليس عندنا ما نطعمهم؟ فقالت: الله ورسوله أعلم فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ ومن معه حتى وصلا فقال رسول الله ﷺ ومن معه حتى وصلا فقال رسول الله ﷺ «**هلمي ما عندك يا أم سليم**» فأتت بذلك الخبز فأمر رسول الله ﷺ ففتت وعصرت عليه أم سليم عكة فآدمته ثم قال في رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقول ثم قال: «**ائذن لعشرة**». فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «**ائذن لعشرة**». فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «**ائذن لعشرة**». حتى أكل القوم كلهم وشبعوا والقوم سبعون رجلاً أو ثمانون»[1].

هذا شيء يسير من خبرهم أوردته للمثال لا للإحاطة، ومن أراد الاستزادة فعليه بكتب السير والزهد، مثل: كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وكتاب الزهد للإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله، وكتاب حياة الصحابة للكاندهلوي.

* * * *

(١) متفق عليه.

آثـــــار

«سأل موسى عليه السلام ربه عز وجل: أي ربي أي عبادك أحب إليك؟ قال: أكثرهم لي ذكرًا. قال: يا رب فأي عبادك أغنى؟ قال: أقنعهم بما أعطيته. قال: يا رب فأي عبادك أعدل؟ قال: من دان نفسه»(١).

وقال سليمان بن داود عليه السلام: «قد جربنا العيش كله، لينه من شديده، فوجدناه يكفي من أدناه»(٢).

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في خطبته على المنبر: (أيها الناس، إن الطمع فقر، وإن اليأس غنى، وإن الإنسان إذا يئس من الشيء استغنى عنه.

وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لابنه: يا بني إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة؛ فإنها مال لا ينفد، وإياك والطمع؛ فإنه الفقر الحاضر، وعليك اليأس مما في أيدي الناس؛ فإنك لم تيأس من شيء إلا أغناك الله عنه(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال موسى عليه السلام: يا رب ما علاقة من صافيته من خلقك؟ فأوحى الله تعالى إليه: أقنعه باليسير، وأدخر له في الآخرة الكثير)(٤).

---

(١) أخرجه ابن السني في كتابه القناعة ص١٨.

(٢) كتاب الزهد للإمام أحمد ص١٤٥.

(٣) الكفاف والقناعة ص٣٤.

(٤) الكفاف والقناعة ص١٢.

ولما حضر سلمان الفارسي الموت بكى، فقيل: ما يبكيك أبا عبد الله وأنت صاحب رسول الله ﷺ؟ فقال: أما إني لا أبكي جزعًا على الدنيا؛ ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا فتركنا عهده؛ أن تكون بُلْغَةُ أحدنا من الدنيا كزاد الراكب. قال: فلما مات نظروا فإذا نحو من قيمة ثلاثين درهمًا[1].

ويقال: إن أبلغ شيء جاء في القناعة قول علي ﷺ: (لا تحمل هَمَّ قوتَ يومِك الذي لم يأت على يومك الذي أتى؛ فإنه إن يكن من أيام حياتك جاءك رزقك، واعلم أنك لن تدخر أكثر من قوت يومك إلا كنت فيه خازنًا لغيرك)[2].

وقال ابن مسعود ﷺ: (اليقين أن لا ترضي الناس بسخط الله، ولا تحسد أحدًا على رزق الله، ولا تلوم أحدًا على ما لم يؤتك الله؛ فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهة كاره؛ فإن الله بقسطه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط)[3].

جاء في بعض الآثار الإسرائيلية: (الرزق مقسوم والحريص محروم، ابن آدم إذا أفنيت عمرك في طلب الدنيا فمتى تطلب الآخرة)[4].

---

(١) رواه الإمام أحمد ٤٣٨/٥ وابن سعد في الطبقات ١١/٤.
(٢) جامع العلوم والحكم ص٢٨٩.
(٣) ص١٩. «ذم المال والجاه».
(٤) ص١٨. «ذم المال والجاه».

قال ابن رجب الحنبلي: (فالحرص على الدنيا معذبُ صاحبه، مشغول لا يسر ولا يلذ بجمعه لشغله؛ فلا يفرغ من محبة الدنيا لآخرته؛ لالتفاته لما يفنى وغفلته عما يدوم ويبقى)[١].

كان عبد الواحد بن زيد يقول: (الحرص حرصان؛ حرص فاجع وحرص نافع؛ فأما النافع فحرص المرء على طاعة الله، وأما الحرص الفاجع فحرص المرء على الدنيا)[٢].

قال ابن رجب:

قال الفضيل بن عياض: أصل الزهد الرضا عن الله عز وجل. وقال: القنوع هو الزاهد وهو الغني؛ فمَنْ حقَّق اليقين وَثق بالله في أموره كلها ورضي بتدبيره له وانقطع عن التعلق بالمخلوقين؛ رجاءًا وخوفًا، وضعة ذلك من طلب الدنيا بالأسباب المكروهة، ومن كان كذلك كان زاهدًا في الدنيا حقيقة، وكان من أغنى الناس وإن لم يكن له شيء من الدنيا)[٣].

قال مالك بن دينار: إني لأغبط الرجل الذي يكون عيشه كفافًا ويقنع به [٤].

---

(١) ص٢٠. «ذم المال والجاه».

(٢) ص٢٠ من كتاب ذم المال والجاه في شرح (ذئبان جائعان) لابن رجب.

(٣) جامع العلوم والحكم ص٢٨٩.

(٤) الكفاف والقناعة ص٢٠.

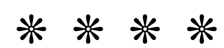
حكـــــــم

قيل: مثل طالب الدنيا، مثل شارب البحر؛ كلما ازداد شربًا ازداد عطشًا حتى يقتله.

قال بعض الحكماء: أنت أخو العز ما التحفت بالقناعة.

قال أبو حازم: ثلاث من كن فيه كمل عقله؛ من عرف نفسه، وحفظ لسانه، وقنع بما رزقه الله عز وجل.

وقال بعض الحكماء: (أطول الناس همًّا الحسود، وأهْنَؤهم عيشًا القنوع).



ذكـــــرى

كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز في ذَمِّ الدنيا كتابًا طويلاً فيه:

أما بعد..

فإن الدنيا دار ظعن وليست بدار مقام، وإنما نزل إليها آدم عقوبة فاحذرها يا أمير المؤمنين؛ فإن الزاد منها تَرْكُها، والغنى فيها فقرُها؛ تُذل من أعزها، وتفقر من جمعها؛ كالسُّمِّ يأكله من لا يعرفه وهو حَتْفُه؛ فاحذر هذه الدار الغَرَّارة الخالبة الخداعة، وكن أسرّ ما تكون فيها؛ أَحْذَرَ ما تكون لها، سرورها مشوب بالحزن، وصفوها مشوب بالكدر؛ فلو كان الخالق لم يُخْبِر عنها خبرًا ولم يضرب لها مثلاً لكانت قد أيقظت النائم ونبَّهت الغافل؛ فكيف وجاء من الله عنها زاجر! وفيها واعظ، فما لها عند الله سبحانه قَدْر ولا وزن، ما نَظَرَ إليها منذ خلقها.

ولقد عرضت على نبينا محمد ﷺ مفاتيحها وخزائنها، لا ينقصه عند الله جناح بعوضة، فأبى أن يقبلها، وكره أن يحب ما أبغضه خالقه، أو يرفع ما وضع مليكه، زواها عن الصالحين اختيارًا وبسطها لأعدائه اغترارًا؛ فيظن المغرور بها المقتدر عليها أنه أكرم بها! ونسي ما صنع الله بمحمد ﷺ حين شد على بطنه الحجر، والله ما أحد من الناس بسط له في الدنيا فلم يخف أن يكون قد مكر به- إلا كان قد نقص عقلاه، وعجز رأيه، وما أمسك عن عبد فلم يظن أنه فد خير له فيها إلا كان قد نقص عقله وعجز رأيه.

الدنيا خداعة

[الدنيا كامرأة بغي لا تثبت مع زوج؛ إنما تخطب الأزواج ليتحسنوا عليها، فلا ترضى بالدياثة.

ميـــــزت بـــــين جمالهـــــا وفعالهـــــا
فـــــإذا الملاحـــــة بالقباحـــــة لا تفـــــي

حلفـــــت لنـــــا ألا تخـــــون عهودنـــــا
فكأنهـــــا حلفـــــت لنـــــا أن لا تفـــــي

السير في طلبها سير في أرض مسبعة [1] والسباحة فيها سباحة في غدير التمساح، المفروح به منها هو عين المحزون عليه، آلامها متولدة من لذاتها، وأحزانها من أفراحها.

مـــآرب كانـــت في الشـــباب لأهلـــها
عِـــذابًا فصـــارت في المشـــيب عَـــذابا

طائر الطبع يرى الحبة، وعين العقل ترى الشرك، غير أن عين الهوى عمياء.

وعين الرضـــا عـــن كـــل عيـــب كليلـــة
كما أن عـــين الســـخط تبـــدي المســـاويا

تزخرفت الشهوات لأعين الطباع فغض عنها الذين يؤمنون بالغيب ووقع تابعوها في بيداء الحسرات، فـــ ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وهؤلاء يقال لهم: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴾.

---

(١) مسبعة: أي أرض كثيرة السباع.

لما عرف الموفقون قدر الحياة الدنيا وقلة المقام فيها أماتوا فيها الهوى طلبًا لحياة الأبد، ولما استيقظوا من نوم الغفلة استرجعوا بالجد ما انتهبه العدو منهم في زمن البطالة، فلما طالت عليهم الطريق تلمحوا المقصد فقرب عليهم البعيد، وكلما أمرت لهم الحياة حلى لهم تذكر: ﴿هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾][1].

* * * *

(١) الفوائد لابن القيم ص٦٠-٦١.

قصص في القناعة

- أصابت داود الطائي فاقة كبيرة؛ فجاءه حماد بن أبي حنيفة رحمه الله بأربعمائة درهم من تركة أبيه، وقال: هي من مال رجل لا أقدم عليه امرأً في زهده وورعه وطيب كسبه، فقال له داود: لو كنت أقبل من أحد شيئًا لقبلتها تعظيمًا للميت وإكرامًا للحي؛ ولكني أحب أن أعيش في عز القناعة.

كان ابن أبي الصادق الطبيب حسن الشمائل مهذب الأخلاق، متقنًا لأجزاء الحكمة، دعاه السلطان إلى خدمته، فأرسل إليه يقول: إن القنوع بما عنده لا يصلح لخدمة السلطان، ومن أكره على الخدمة لا ينتفع بخدمته.

- لما عزم الملك (برهس) على محاربة الرومان تقدم إليه (سينباس) الحكيم وقال له: هب أنك حاربت الرومان وتغلبت عليهم، فماذا تفعل بعد ذلك؟ فقال: أهجم على جزيرة صقلية وأقتحمها.

فقال (سينباس): ثم ماذا تفعل بعد صقلية وفتحها؟

فقال: أعبر إلى إفريقية وأفتح (قرطاجنة). فقال (سينباس): ثم ماذا تفعل بعد فتح قرطاجنة؟ قال: أعيد الكرة على اليونان وأتغلب عليهم. فقال سينباس: ماذا تفعل بعد ذلك؟

قال الملك: أقيم في قصري وأرتاح فيه.

فقال (سينباس): ومن يمنعك الآن عن القيام في قصرك والراحة فيه؟ ثم قال: اعلم يا مولاي؛ إن من لم تقنعه مملكةٌ واحدة لا يقنع ولو ملك المسكونة كلها. فاقتنَع الملك بكلامه وعدل عن محاربة الرومان.

وهذا يؤيد قول الشاعر:

مـــا كـــل مـــا فـــوق البســـيطة كافيًـــا

فـــإذا اقتنعـــت فـــبعض شـــيء كـــافٍ

بنى أحد الأغنياء بيتًا جميلاً وكتب على بابه هذه الجملة: «إنني قد عاهدت نفسي أن أهب هذا البيت لمن كانت له قناعة تامة». فجاء إليه رجل وقال: إنني لم أكن قط في حياتي غير قانع ولم تزل القناعة درسي وديدني؛ فإن كان ما كتبته هنا حقًا يكون البيت لي شرعًا، فأجابه على الفور: يا صاحبي لو كنت قنوعًا لما طلبت بيتي.

حكي أن وزيرًا عزل فانخرط في سلك العباد والزهاد فلما عاش فيهم وامتزجت نفسه بنفوسهم واستل خيرهم ما كمن في نفسه من الشرور التي تلصق برجال الدولة، فعادت إليه القناعة بعد أن هدرته، ووصلته الفضيلة بعد أن قطعته وحدث أن السلطان عاد فرضي عنه واستدعاه إلى منصبه، فأبى الوزير القنوع أن يعود إلى متاعب الوزارة وفضل الاعتزال على السفر والمال وحسنت لديه حياة الزاهدين بقدر ما قبحت في عينه حياة الوزراء والسلاطين، فلما ألح السلطان في طلبه أجابه الوزير: اعلم يا مولاي أنني تركتُ وراء ظهري حدائق وأعنابا وكواعب أترابا، وخيلاً مسومة، وقناطير مقنطرة، وعدةً وعديدًا، ومواكب وعبيدا، وخرجت

خروج الحية من جحرها، وبرزت بروز الطائر من وكره، مؤثرًا ديني على دنياي، جامعًا يمناي في يسراي؛ لأنني أثرت الفقر مع الحرية، على الغنى مع المذلة، ومن كان مثلي فقد اعتق رقبته، واستل من قلبه سخائم الضغن والحقد، وأخرج سموم الغيظ والحسد، ودان بدين التساهل والتسامح وبذا نجوت من لوم اللائمين وقطعت ألسنة القادحين.

فأجابه الملك: لا ريب أن الدولة محتاجة إلى حكيم مثلك، طاهر النفس قويم الخلق، حسن السلوك؛ ليدبر شؤونها، ويصلح ما فسد من أمورها، فقال الوزير: إنه من الحكمة التي تصفني بها أن ابتعد بطهري وعفتي عن شؤون الملك، لئلا يعتريها الرجس ويشويها الكدر.

(ذكر ابن أبي الدنيا، قال: حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا عوف بن عمارة البصري قال: قال أبو محرز الطغاوي: شكوت إلى جارة لنا ضيق المكسب علي وأنا شاب، فقالت لي: (يا بني: استغن بغنى القناعة عن ذل المطالب، فكثيرًا والله رأيت الكثير عاد وخيمًا، ووالله رأيت القليل عاد سليمًا. قال أبو محرز: ما زلت أعرف بركة، كلامها في قنوعي)[1].

(وقال الأصمعي: بينما أنا بالحاجز من عنزة إذ بصرت بأعرابي إلى جانب أكمه قد اشتمل بشملة فسلمت عليه فرد السلام، فقلت: يا أعرابي: أين منزلك؟ قال: بالخضراء حيث ترى،

---

(١) القناعة والكفاف ص١٨.

وأشار إلى شجرة غير بعيدة، فقلت: وأين أهلك؟ قال: في ملك مالك. قلت: فما مالك؟ فقال:

للنـــاس مـــال ولي مـــالان مـــا لَهمـــا
إذا تحـــارس أهـــــل المـــــال حـــــراس

مالي الرضـــا بالـــذي أصـــبحت أملكـــه
ومـــالي اليـــأس ممـــا يملـــك النـــاس

قال: فأخرجت درهمًا فأعطيته، فقال: يا فتى هذا من مالي الذي أخبرتك به)[1].

كان وهب بن منبه يعظ عطاء الخرساني ويقوله له:

ألم أخبر أنك تأتي الملوك وتحمل علمك إليهم؟! يا عطاء، ارضَ بالدون من الدنيا مع الحكمة، ولا ترض بالدون من الحكمة مع الدنيا. ويحك يا عطاء، إن كان يغنيك ما يكفيك فإن أدنى ما في الدنيا يكفيك، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك، فليس في الدنيا شيء يكفيك!

فقـــر النفـــوس بقـــدر حاجتـــها
وغـــنى النفـــوس بقـــدر مـــا تقنـــع)[2]

---

(١) القناعة والكفاف ص٣٥.

(٢) مجلة لواء الإسلام العدد السادس ص١١.

نموذج معاصر في القناعة

الشيخ محمد الأمين الشنقيطي[(١)]

جاء في ترجمته:

ومن أبرز ما كان عليه الشيخ رحمه الله الزهد في الدنيا والتقلل منها والإخبار عنه رحمه الله في تثبيت ذلك متواترة، أذكر طرفًا منها ليتخذ منها طلاب العلم قدوة لهم في هذا الزمان الذي فتن فيه كثيرون بالدنيا، تضاف إلى قدوات الزمان الأول الذين زخر بهم تاريخنا الإسلامي:

- قال ابنه عبد الله: «كان يحذرني من الدنيا كثيرًا، ويقول: الكفاف منها يكفي، وإن الشيطان ربما سول للإنسان جمعها ليتصدق بها، وهو تلبيس».

- وأهدى له الأمير عبد الله بن عبد الرحمن آل سعود شقيق الملك عبد العزيز بيتًا في الطائف، فرده، ولم يقبله، فسئل عن ذلك؟ فقال: «الذي بناه يحتاجه لنفسه، أما أنا فلم أبنه ولا أحتاجه، وعندي بيت في المدينة يكفيني».

- وكان الأمير المذكور آنفا قد عهد إلى البنك الأهلي بالمدينة أن إذا طلب الشيخ منهم أي مبلغ يعطونه، فلم يطلب، ولم يأخذ شيئًا إطلاقًا.

---

(١) صاحب أضواء البيان.

- وقال الشيخ بكر أبو زيد في كتابه «حلية طالب العلم» ما نصه: «وقد كان شيخنا محمد الأمين الشنقيطي (رحمه الله تعالى) متقللاً من الدنيا، وقد شاهدته لا يعرف فئات العملة والورقية، وقد شافهني بقوله: لقد جئت من البلاد (شنقيط) ومعي كنز قل أن يوجد عند أحد، وهو القناعة، ولو أردت المناصب، لعرفت الطريق إليها، فإني لا أوثر الدنيا على الآخرة، ولا أبذل العلم لنيل المآرب الدنيوية، فرحمه الله رحمة واسعة](1).



(1) من كتاب ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ص١٩٩-٢٠١ مع الاختصار.

القناعة في عيون الشعراء

* قال أبو ذؤيب الهذلي:-

والـــــــنفس راغبـــــــة إذا رغبتـــــــها
وإذا تـــــــرد إلى قليـــــــل تقنـــــــع

* وقال علي زين العابدين:

خـــذ القناعـــة مـــن دنيـــاك وارض بهـــا
لـــو لم يكـــن لـــك إلا راحـــة البـــدن
وانظر إلى مـــن حـــوى الـــدنيا بأجمعهـــا
هـــل راح منـــها بغـــير القطـــن والكفـــن
فـــلا تغرنـــك الـــدنيا وزينتـــها
وانظـــر إلى فعلـــها في الأهـــل والـــوطن [1]

* وقال آخر:

يـــا واردًا ســـور عـــيش كلـــه كـــدر
انفقـــت دهـــرك في أيامـــك الأول
فـــيم اغتـــرارك لُـــج البحـــر تشـــربه
وأنـــت تكفيـــك منـــه مصـــة الوشـــل

* قال ابن الرومي:-

قـــرب الحـــرص مركـــب لشـــقي
إنمـــا الحـــرص مركـــب الأشـــقياء
مرحبًـــا بالكفـــاف يـــأتي هينًـــا
وعلـــى المتعبـــات ذيـــل العفـــاء

(١) مهلا يا جامع الدنيا ص٢٦.

* وقال آخر:

اضـــــرع إلى الله لا تضـــــرع إلى النــــاس
واقنــــع بعــــز فــــإن العــــز في اليـــاس

واستغن عن كـــل ذي قـــربى وذي رحـــم
إن الغـــنى مـــنن اســـتغنى عـــن النـــاس

* وقال حافظ إبراهيم يمدح عمر بن الخطاب:

يوم اشتهت زوجــه الحلــوى فقـــال لهــا
مـــن أيـــن لي ثمـــن الحلـــوى فأشـــريها

لا تمتطـــي شــــهوات الـــنفس جامحـــة
فكســـرة الخبـــز عـــن حلـــواك تجزيهـــا

قال: اذهبي واعلمـــي أن كنـــت جاهلـــة
إن القناعـــــة تغـــــنى نفـــــس كاســـــيها

* وقال آخر:

كـــــــن بمــــــا أوتيتــــــه متقنعًــــــا
تقتفـــــي عـــــيش القنـــــوع المكتفـــــى

كســـــــراج دهنـــــــه قـــــــوت لـــــــه
فـــــإذا غرفتـــــــه فيـــــــه طفـــــــي

* وقال آخر:

رضـــيت مـــن الـــدنيا بقـــوت يقـــيني
فـــلا ابتغـــي مـــن بعـــدُ أبـــدا فضـــلا

ولســـــــت أروم القـــــــوت إلا لأنـــــــه
يعـــين علـــى علـــم أرد بـــه جهـــلاً

فمـــا هـــذه الـــدنيا يطيـــب نعيمهـــا
ولا يسر ما في العلـــم مـــن نكتـــةٍ عـــدلا

* وقال آخر:

والنفس كالطفل أن تهملــه شـــب علـــى
حـــب الرضـــاع وإن تفطمـــه يـــنفطم

* وقال آخر:

إن القناعـــــة مـــــن يحلـــــل بســـــاحتها
لم يلـــــق في ظلـــــها همـــــا يؤرقـــــه

* وقال آخر:

قنعـــــت فاســـــتغنى فـــــؤادي بمـــــا
أعطيـــــت مـــــن قـــــوت واطمـــــارِ
فلـــــم أنـــــافس في الغـــــنى أهلـــــه
ولا تطاولـــــــت علـــــــى جـــــــارِ
والفقـــر خـــير مـــن غـــنى واســـع
يـــورث طـــول الـــذل في النـــار)[1]

* قال ابن أبي الدنيا وانشد في أبي جعفر الأموي شيخ من أهل الحجاز (شعر):

عليـــك بتقـــوى الله واقنـــع برزقـــه
فخـــير عبـــاد الله مـــن هـــو قـــانع

(١) الكفاف والقناعة ص١٢، ص٣٥.

ولا تلـــهك الـــدنيا ولا طمـــع بهـــا

فقـــد تهلـــك المغـــرور فيهـــا المطـــامع

صبرًا على ما فـــات منـــها فمـــا يســـتوي

عبـــــــد صـــــــبور وجـــــــازع)

* لقي رجل ابن العتاهية على باب المسجد الجامع فقال له قبل أن يدخل المسجد أبيات فقال:

نصـــــف القنـــــوع وأيُّنَـــــا يقنـــــع

أو أيُّنـــــا يرضـــــى بمـــــا يجمـــــع

لله دَرُّ ذوي القناعـــــــــــــــــة

مـــا أصـــفى معاشـــهم ومـــا أوســـع

فقـــر النفـــوس بقـــدر حاجتـــها

وغـــنى النفـــوس بقـــدر مـــا تقنـــع)[1]

* وقال أحدهم:

ونـــازح الـــدار لا ينفـــك مغتربـــا

عـــن الأحبـــة لا يـــدرون بالحـــال

بمشـــرق الأرض طـــورًا ثم مغربهـــا

لا يخطر الموت مـــن حـــرص علـــى بـــال

ولـــو قنعـــت أتـــاك الـــرزق في دعـــة

إن القنـــوع الغـــنى لا كثـــرةُ المـــال [2]

(١) القناعة والكفاف ص٣٦.

(٢) ذم المال والجاه.

* وقال محمود الوراق:

أيهـــا المتعـــب جهـــدًا نفســـه
يطلـــب الـــدنيا حريصًـــا جاهـــدًا

لا لـــك الـــدنيا ولا أنـــت لهـــا
فاجعـــل الهمـــين همًـــا واحـــدًا [1]

* قال علي بن أبي طالب ﷺ:

عزيـــز الـــنفس مـــن لـــزم القناعـــة
ولم يكشـــف لمخلـــوق قناعـــه

أفادتـــه القناعـــة كـــل عـــز
وهـــل عـــز أعـــز مـــن القناعـــة

فصـــيرها لنفســـك رأس مـــال
وصـــير بعـــدها التقـــوى بضـــاعة

لتحـــرز مـــا يغـــني عـــن بخيـــلٍ
وتحظـــى الجنـــان بصـــبر ســـاعة

* قال أبو فراس:

إن الغـــني هـــو الغـــني بذاتـــه
ولـــو أنـــه عـــاري المناكـــب حـــافِ

مـــا كـــل مـــا فـــوق البســـيطة كافيًـــا
فـــإذا قنعـــت فكـــل شـــيءٍ كـــافِ

---

(١) ذم المال والجاه.

* قال إبراهيم الصولي:

لا تأسفن على الدنيا وما فيها
فالموت لا شك يفنينا ويفنيها

ومن يكن همه الدنيا ليجمعها
فسوف يوما على رغم يخليها

لا تشبع النفس من دنيا تجمعها
وبلغة من قوام العيش تكفيها

النفس تطمع في الدنيا وقد علمت
أن السلامة منها ترك ما فيها

والله لو قنعت نفسي بما رزقت
من المعيشة إلا كان يكفيها

والله والله إيمان مكررةٌ
ثلاثة عن يمين بعد ثانيها

لو أن في صخرةٍ صمّا ململمة
في البحر راسية ملس نواحيها

رزقًا لعبدٍ براها الله لانفلقت
حتى تؤدي إليه كل ما فيها

أو كان فوق طباق السبع مسلكها
لسهل الله في المرقى مراقيها

حتى ينال الذي في اللوح خط له
فإن أتته وإلا سوف يأتيها

أموالنا لذوي الميراث نجمعها
ودارنا لخراب البُوم نبنيها

وهذه الدار لا تغررك زهرتها
فعن قريب ترى معجبك ذوايها

خداعة لم تدم يومًا على أحدٍ
ولا استقرت على حال لياليها

فانظر وفكـــر فكـــم غـــرت ذوى طـــيش،
وكـــم أصـــابت بســـهم المـــوت أهليهـــا
اغتـــر قـــارون فى دنيـــاه مـــن سفه
وكـــان مـــن خمرهـــا يـــا قـــوم ذاتيهـــا
يبيـــت ليلتـــه ســـهران منشـــغلاً
فى أمـــر أموالـــه فى الهـــم يفـــديها
وفى النـــهار لقـــد كانـــت قضـــيته
تحـــز فى قلبـــه حـــزًا فيخفيهـــا
فمـــن بناهـــا بخـــير طـــاب مســـكنه
ومـــن بناهـــا بشـــر خـــاب بانيهـــا
أين الملـــوك الـــتى عـــن حظهـــا غفلـــت
حـــتى ســـقاها بكـــأس المـــوت ســـاقيها
أفـــنى القـــرون وأفـــنى كـــل ذي عُمـــر
كـــذلك المـــوت يفـــنى كـــل مـــا فيهـــا
فـــالموت أحـــدق بالـــدنيا وزخرفهـــا
والنـــاس فى غفلـــة عـــن تـــرك مـــا فيهـــا
لـــو أنهـــا عقلـــت مـــاذا يـــراد بهـــا
مـــا طـــاب عـــيش لهـــا يومـــا ويلـــهيها
نلـــهو ونأمـــل آمـــالا نســـر بهـــا
شـــريعة المـــوت تطوينـــا وتطويهـــا
فاغرس أصول التقى مـــا دمـــت مقتـــدرًا
واعلـــم بأنـــك بعـــد المـــوت لاقيهـــا [1]

(١) مهلا يا جامع الدنيا ص٣٢-٣٤.

الشافعي والقناعة [1]

الـــــنفس تجـــــزع أن تكــــون فقـــــيرة
والفقــــر خـــير مــــن غــــنى يطغيهـــا
وغــــنى النفــــوس هــــو الكفــــاف فــــإن
أبــــت فجميـــع مـــا في الأرض لا يكفيهـــا
دع الأيــــــام تفعــــــل مــــــا تشــــــاء
وطــــب نفســــاً إذا حكــــم القضــــاء
ولا تجــــــزع بحادثــــــة الليــــــالي
فمــــا لحـــــوادث الـــــدنيا بقـــــاء
وكــــن رجـــلاً علـــى ألأهـــوال جلـــدًا
وشـــــيمتك الســـــماحة والوفـــــاء
وإن كثـــــرت عيوبــــك في البرايـــــا
وشــــرك أن يكــــون هــــا غطـــــاء
تســــتر بالســــخاء فكــــل عيــــب
يغطيــــه كمــــا قيــــل الســـــخاء
ورزقــــك لــــيس ينقصـــه التــــأني
ولــــيس يزيــــد في الــــرزق العنــــاء
ولا حــــــزن يــــــدوم ولا ســــــرور
ولا بـــــؤس عليــــك ولا رخــــــاء

---

(١) من ديوان الشافعي.

إذا مـــا كنـــت ذا قلـــب قنـــوع

فأنـــت ومالـــك الـــدنيا ســـواء

رأيـــت القناعـــة رأس الغـــنى

فصـــرت بأذيالهـــا مستمســـك

فـــلا ذا يـــراني علـــى بابـــه

ولا ذا يـــراني بـــه منـــهك

فصـــرت غنيـــا بـــلا درهـــم

أمـــر علـــى النـــاس شـــبه الملـــك

إذا أصـــبحت عنـــدي قـــوت يـــومي

فخـــل الهـــم عـــني يـــا ســـعيدُ

ولا تخطـــر همـــوم غـــد ببـــالي

فـــإن غـــدًا لـــه رزق جديـــد

إن أنـــا عشـــت لســـت أعـــدم قوتًـــا

وإذا مـــت لســـت أعـــدم قـــبرًا

همـــتي همـــة الملـــوك ونفســـي

نفـــس حـــر تـــرى المذلـــة كفـــرًا

وإذا مـــا قنعـــت بـــالقوت عمـــري

فلمـــاذا أزور زيـــدًا وعمـــرًا

العبـــد حـــر إن قنـــع

والحـــر عبـــدٌ إن طمـــع

فـــاقنع ولا تطمـــع فـــلا

شـــــيء يشـــــين ســـــوى الطمـــــع

توكلـــت في رزقـــي علـــى الله خـــالقي

وأيقنـــــت أن الله لا شـــــك رازقـــــي

ومـــا يـــك مـــن رزق فلـــيس يفـــوتني

ولـــو كـــان في قـــاع البحـــار الغوامـــق

ســـيأتي بـــه الله العظـــيم بفضـــله

ولـــو لم يكـــن مـــن اللســـان بنـــاطق

ففي أي شـــيء تـــذهب الـــنفس حســـرةً

وقـــــد قســـــم الله رزق الخلائـــــق

وكـــذا الغـــنى هـــو الغـــنى بحالـــه

لـــــيس الغـــــنى بملكـــــه وبمالـــــه

أمـــت مطـــامعي فأرحـــت نفســـي

فـــإن الـــنفس مـــا طمعـــت تهـــونُ

وأحييـــت القنـــوع وكـــان ميتًـــا

ففـــي إحيائـــه عـــرض مصـــون

إذا طمـــع يحـــل بقلـــب عبـــدٍ

علتـــه مهانـــةٌ وعـــلاه هـــونُ

بلـــوت بـــني الـــدنيا فلـــم أرى فـــيهم

سوى مـــن غـــدا والبخـــل مـــلء إهابـــه

فجـــردت مـــن غمـــد القناعـــة صـــارمًا

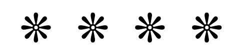
قطعـــت رجـــائي منـــهم بذبابـــه

فـــــلا ذا يـــــراني واقفًـــــا في طريقـــــه

ولا ذا يـــــراني قاعـــــدًا عنـــــد بابـــــه

غـــنى بـــلا مـــال عـــن النـــاس كلـــهم

ولـــيس الغـــنى إلا عـــن الشـــيء لا بـــه



الأسباب التي تنال بها القناعة

(هذه المرتبة العالية كل يحب الوصول إليها والاتصاف بها، ولكن أكثر الخلق متخلف عنها غير عامل بالأسباب الموصلة إليها، ولا متجرد من الموانع المانعة من تحصيلها جهلاً وتهاونًا واشتغالاً بما يضر عما ينفع وبالمراتب الدنيئة عن المراتب العلية)[1].

فمن الأسباب التي ذكرها العلماء ما يلي:

١- (مجاهدة النفس على الاتصاف بذلك)[2]. «**ومن يستغن يغنه الله**»[3].

٢- (سؤال الله والإلحاح عليه ودعائه أن يعينه على الوصول إلى هذه المرتبة، فإن من اجتهد واستعان بالله وألح عليه في السؤال لم يخيبه الله فإنه أمر بالدعاء ووعده الإجابة في جميع الأدعية التي أفضلها وأعلاها أن تدعو الله بالتوفيق لمراضيه وبالحفظ والوقاية عند مناهيه، فما خاب من سأله ورجاه، ولا من طمع في تحصيل فضله وخيره وهداه)[4] ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[5].

٣- (علم العبد أن الله تعالى عنده جميع مطالب السائلين وبيده خزائن الخيرات والبركات وأنه ما يفتح للناس من رحمة، فلا ممسك

(١) الرياض الناضرة ص١٤٨-١٤٩.
(٢) الرياض الناضرة ص١٤٨-١٤٩.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) الرياض الناضرة ص١٤٨-١٤٩.
(٥) سورة غافر آية ٦٠.

لها، وما يمسك إلا هو، وإنه هو النافع الضار، والمعطي المانع، وأن الخلق ليس بيدهم من هذه الأمور من شيء، وأنهم جميعًا مهما كانت أحوالهم ومراتبهم، فإنهم فقراء إلى الله في كل شؤونهم.

من عرف هذا حق المعرفة اضطرته هذه المعرفة الجليلة الواصلة إلى القلب إلى تعليق الأمور كلها على الله، وتعلق القلب له وانقطاعه عن الخلق، وعلم العبد أنه كلما قوى تعلقه وطمعه في فضله أتاه من الخير والبركة وطيب الحياة ما لا يخطر ببال)[1].

٤- (علم العبد حق العلم أن تعلق القلب بالمخلوق يهبط بصاحبه إلى أسفل الدركات ويجعله حقيرًا ذليلاً مهينًا مهانًا، وأن ذلك غير نافع ولا مفيد، بل ضره كبير وشره مستطير)[2].

٥- (علم العبد بأن افتقاره إلى الخلق وتعلقه بهم واستشرافه لما بين أيديهم وسؤالهم يجلب الهم والغم والإكدار والقلق وأن استغناءه وعدم تعلقه بهم يوجب راحة القلب وروحه وطمأنينته.

ثم إنه كلما قوي طمع العبد بالله وقوي رجاؤه لديه وقوي توكله عليه يسر الله له كل عسير وهون عليه كل صعب ورزقه من حيث لا يحتسب، وكفاه الهموم كلها وكسب الحرية التي لا أرفع منها ولا أنفع)[3].

---

(١) الرياض النضرة ص١٤٨-١٤٩.

(٢) الرياض النضرة ص١٤٨-١٤٩.

(٣) الرياض النضرة، ص١٥٠

٦- (الرضا بقضاء الله وقدره والتسليم لأمره والعلم بأن الذي عند الله خير وأبقى)[1] سبب لغنى النفس ومن ثم القناعة وترك الحرص والطمع.

٧- (إذا أجممتها [2] - أي: النفس - من ذكر الزيادة من الدنيا، وحملتها على درجة الخوف مما في يديها — أي عدم أداء شكرها — قنعت ورضيت وعفت عن طلب الدنيا بالحرص والرغبة ورجعت إلى الآخرة بالحرص عليها والرغبة فيها، فإن النفس مبينة على أساس الطمع)[3].

٨- (تدريب النفس على الاقتصاد في المعيشة والرفق في الانفاق).

٩- (إذا تيسر به في الحال ما يكفيه، فلا يكون شديد الاضطراب لأجل المستقبل ويعينه على ذلك قصر الأمل، واليقين فإن رزقه لابد أن يأتيه وليعلم أن الشيطان يعده الفقر)[4].

١٠- (أن يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء، وما في الطمع والحرص من الذل)[5].

١١- (أن يكثر تفكره في تنعم اليهود والنصارى وأراذل الناس

---

(١) ذم الدنيا للزهيري ص٣٨.

(٢) عجائب القرآن للرازي ص١٢٧.

(٣) أي أرحتها.

(٤) مختصر منهاج القاصدين ص٢٠٠-٢٠١ باختصار.

(٥) مختصر منهاج القاصدين ص٢٠٠-٢٠١ باختصار.

والحمقى منهم، ثم ينظر إلى أحوال الأنبياء والأولياء والصالحين، ويسمع أحاديثهم، ويطالع أحوالهم، ويخير عقله بين مشابهة أرذال العالمين، أو صفوة الخلق عند الله تعالى، حتى يهون عليه الصبر على التقليل والقناعة باليسير، وإنه إن تنعم بالأكل، فالبهيمة أكثر أكلاً منه، وإن تنعم بالوطء فالبهائم أكثر)[1].

١٢- (أن ينظر أبدًا إلى من دونه في الدنيا، وإلى من فوقه في الدين)[2].

١٣- التدرب على القناعة: فإن النفس الإنسانية دائمة التطلع لما عند الآخرين، فإذا رد الإنسان نفسه عن ذلك وعرفها قيمة ما لديها من النعيم وأنه يكفي وقد يفضل عن بعض ما عند الآخرين فإن النفس تقنع، وعلى الإنسان المحب للقناعة أن يأخذ نفسه بالتدرج والسياسة فإذا اشتهت أربعة أصناف فليشتر لها صنفين، ويقول لنفسه: فيهما كفاية وبركة وهكذا... بالمران تنمو أخلاق الإنسان.

* * * *

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ص٢٠٠-٢٠١ باختصار.

(٢) مختصر منهاج القاصدين ص٢٠٠-٢٠١ باختصار.

من فوائد القناعة

١– **الغنى**: أي: غنى النفس لقول النبي ﷺ: «**من يستغن يغنه الله**»[1].

وقوله عليه الصلاة والسلام: «**ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس**»[2].

وكما قال الشافعي:–

رأيـــــت القناعـــــة رأس الغـــــنى
فصـــــــرت بأزيالهـــــا متمســـــــك

٢– **إنها سبب الفلاح**: لقول النبي ﷺ: «**قد أفلح من أسلم ورزق كفاف وقنعه الله بما أتاه**»[3].

٣– **إنه سبب لحصول محبة الله ومحبة الناس**؛ لقول النبي ﷺ: «**ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس**)[4].

٤– **إنها طريق العز والشر والنزاهة**؛ فإن العز في القناعة والذل في الطمع، كما قال أحد الحكماء :

أنت أخو العز ما التحفت بالقناعة.

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده.
(٣) رواه مسلم.
(٤) السلسلة الصحيحة ج٢ رقم ٩٤٤.

٥- **راحة البدن والنفس والبال**، كما قال الشاعر:

خـــذ القناعـــة في دنيـــاك وارض بهـــا
لـــو لم يكـــن لـــك إلا راحـــة البـــدن

٦- **السعادة وانشراح الصدر وطيب الخاطر**، كما قال ابن الرومي:

قـــرب الحـــرص مركـــب لشـــقي
إنمـــا الحـــرص مركـــب الأشـــقياء
مرحبًـــا بالكفـــاف يـــأتي هنيئًـــا
وعلـــى المتعبـــات ذيـــل العفـــاء

وكما قال أحدهم (ليست السعادة بتحقيق الأماني المادية ولا ملذات وأهواء النفس البشرة إنها فقط في راحة البال.. في الرضا والقناعة)[1].

٧- **القناعة كنز عظيم**:

كما في الحكمة (القناعة كنز لا يفنى).

٨- **إنها علامة من علامات التقوى** (قال علي بن أبي طالب ﷺ: التقوى هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل)[2].

* بالإضافة إلى غيرها من الفوائد والأدلة والتي سبق ذكرها في سطور هذه الرسالة.

(١) مجلة الجندي المسلم ص١٠٣ عدد ٥٨.
(٢) كتاب التقوى ص١٦.

القناعة في ماذا؟

إن القناعة تكون فيما يفنى لا فيما يبقى، انطلاقًا من قول النبي ﷺ: «**انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم**» متفق عليه، هذا في أمور الدنيا مثل المال والأولاد والزوجة والمسكن والمركب والخلقة والنسب والجاه والوظيفة وغيرها من أمور الدنيا الزائلة أو غير الاختيارية.

ولكن في أمور العبادة واعلم والأخلاق ينظر الإنسان إلى من هو أعلى منه لتسمو همته وتشرف نفسه للوصول إلى معالي الأمور والبعد عن دنياها.

ومما يؤسف له أن تجد كثيرًا من الناس الذين حرموا من هذا الخلق الجليل يعيش وكأنه أفقر الناس أو أتعس الناس، فهو رغم غناه وكفاية ما لديه فيرى أنه فقير؛ لأنه ينظر دائمًا إلى حال الأغنياء فهو أفقر منهم، وآخر لم يسعد مع زوجته الجميلة وذات الخلق الحسن؛ لأنه أطرق سمعه لحديث عن زوجة أجمل منها أو أحسن خلقًا وهكذا صور متكررة من ألوان الإحساس بالفقر وعدم السعادة، لماذا؟ لأنه حرم القناعة ولم يعمل بوصية النبي ﷺ السابقة، لذا أدعوك أخي القارئ وأختي القارئة أن تتحليا دائمًا بخلق القناعة؛ فهو سر من أسرار السعادة لا يعرفه إلا من جربه، والتجربة خير برهان.

خاتمة

في الختام أرجو أن تكون قد وجدت فيما قرأت ما يسرك ويحصل به رضاك وأن تكون قد ازددت علمًا ثم عملاً بهذا الخلق الكريم بإذن الله.

ولابد يا أخي أن هذا العمل قد اعتراه بعض النقص ولكن كما قال الشاعر:

وعين الرضـــا عـــن كـــل عيـــب كليلـــة
ولكـــن عـــين الســـخط تبـــدي المســـاويا

لذا أرجو السماح عن الخطأ وأذكرك بأن الله أبى العصمة إلا لكتابه وكل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون.

ومن ذا الـــذي ترضـــى ســـجاياه كلـــها
كفـــى المـــرء نـــبلاً أن تعـــد معايبـــه

وأود منك يا أخي القارئ طلبين:

* **الأول**: دعوة صادقة لي ولك ولأمتنا بظهر الغيب خاصة من قلبك.

* **الثانية**: إذا وجدت ملاحظة أو إضافة أن تكتبها لي وجزاك الله خيرًا.

وأخيرًا، أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به وأن يجعله حجة لي ولمن قرأه إنه سميع قريب مجيب الدعاء. والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..

عبد الإله بن إبراهيم بن داود

الرياض ١٤١٣/٧/٧هـ

المراجع مرتبة أبجديا

١- أدب الدنيا والدين. للماوردي.

٢- بهجة قلوب الأبرار. للشيخ عبد الرحمن السعدي.

٣- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي. لعبد الرحمن بن عبد العزيز السديس.

٤- التقوى. لصلاح الدين مارديني.

٥- جامع العلوم والحكم. لابن رجب الحنبلي.

٦- ديوان الشافعي. تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي.

٧- ذم المال والجاه. لابن رجب الحنبلي، تحقيق أشرف عبد المقصود.

٨- ذم الدنيا. لسمير الزهيري.

٩- رياض الصالحين. للإمام النووي.

١٠- الرياض الناضرة. للشيخ عبد الرحمن السعدي.

١١- سلسلة الأحاديث الصحيحة. للشيخ ألألباني.

١٢- صحيح البخاري. الإمام البخاري.

١٣- صحيح مسلم. الإمام مسلم.

١٤- عجائب القرآن. للرازي.

١٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري. لابن حجر العسقلاني.

١٦- الفوائد. لابن قيم الجوزية.

١٧- القناعة. لابن السني، تحقيق عبد الله بن يوسف.

١٨- الكفاف والقناعة. للقرطبي، تحقيق مجدي السيد.

١٩- مختص منهاج القاصدين. لابن قدامة المقدسي.

٢٠- مهلا يا جامع الدنيا. جمع محمد أحمد سيد أحمد.

* وغيرها من المراجع والدوريات الموجودة بهامش الصفحات.

* * * *

الفهرس

* * * *